برنامج عملي
التفكر في العالم
وفي «من أنا»



العارف الشيخ حسن حسن زاده آملي "قدس"

bahjat al'amal

لابـــد لـــك أن تجلس في قطعـــة من الليـــل وحيداً بعيداً عـــن القيل و القال، مع ســـكون الحواس، ثم تتفكر في وجـــودك و وجود ســـائر الموجودات من بدئهـــا إلى ختامها و تدبيرها و تعيشـــها و اختلافها و حركاتهـــا و هيجانها، حيث إن هـــذا الجلوس في كل جلســـة، يتتالى أســـفاراً و هذا النحو من التفكر تســـتتبعه الحظـــوظ الكثيرة وكيفية هـــذا الفكر و التفكـــر، هـــي أن تتوغل و تغـــور في كل شيء من مشـــهوداتك و تبتدئ فيه بـــأن كل شيء متحرك إلى غايـــة و هدف و يحتاج إليهـــا، و تلك الغاية كماله، نتفكر مثلاً حـــول حبة من الشـــعير أو الحنطة، أو نواة خـــوخ أو حول بيض طـــير و دجاجة، أو حول فـــرخ، أو حول طفل كتابي أو ســـائر الأشـــياء، كلها تنمو مـــن ناحية الحركـــة، و قليلاً قليـــلاً تبلغ إلى مقصودهـــا و غايتهـــا، و أيضاً تتفكر في نفســـك و

في ذاتـــك و قواك و الأعضاء و الجـــوارح و الجوانح منـــك، و أيضـــاً في كل شيء يوجد في مـــا حولك من الأشـــجار و الخـــضراوات وصور الأشـــخاص، فلكل شـــخص صورة خاصة و وجه خـــاص، و في الأرض و حركتهـــا الوضعية و الانتقاليـــة، حيث تتحرك في كل ثانية بمقـــدار ثمانية و عشرين كلومتراً، و في ســـتين ثانيـــة بمقـــدار ألف و ســـتمائة و ثمانـــين كلومتراً، و هـــو مقدار دقيقـــة واحدة، و في ســـاعة واحدة بمقـــدار مائة ألـــف وثمانمائة (كلـــم)، و في أربع و عشرين ســـاعة ٢٤١٩٢٠٠ (كلم)، و في شـــهر واحد ٧٢٥٧٦٠٠٠ (كلم)، و في ســـنة واحدة ٨٧٠٩١٢٠٠٠ (كلـــم)؛ و الكواكب و المجرات و أخـــيراً وصل رواد الفضاء إلى كشـــف مئـــات المليارات مـــن المجرات و أيضاً استكشـــاف أراض كثيرة، مثـــل هذه الأرض التـــي نعيش عليهـــا و...، إلى ما لانهايـــة، و الأبعاد

الشعاعية المستخرجة من مركز الأرض لاتنتهي إلى نها ية .

عزيزي! كلها في مقابل حقيقة الإنسان و ظرفيته و استعداداته، كقطرة بالنسبة إلى البحر المحيط بل أكثر منه: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)[١].

فراجع في كيفية التفكر «دروس معرفة النفس» لمولانا الأجل من الدرس السادس إلى الثالث عشر[٢]، و القرآن المحمدي يقول: «إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب »[٣]، الآيات.

---

(١) لقمان/٢٨.

(٢) أبوالفضائل العلامة حسن زاده الأملي، حسن، دروس في معرفة النفس، صص ٣١-٦٣، الناشر: ألف لام ميم، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٢هـ.ش.

(٣) آل عمران/١٩١.

ثم يقول مولانا الأجل في ذيل الدرس السابع:

«نختصر الكلام لعل بعض الناس يضحكون من مقال هذا المنقلب المتهيج، و يظنون أن القائل مجنون ولكن الحكماء و اليقظين يعلمون أن هذه الكلمات و المحاورات مع موجودات العالم و الكلمات الوجودية، كانت قبسات تشتعل من مركز قلب محترق و مشتعل»[٤].

نعم، سميت تلك الحالة المحرقة للقلوب بالخروج عن العادة، و طريقه أيضاً التفكر كما في الرواية:

«تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة»[٥].

و العالم أجزائه مرتبطة و كلها متحركة استكمالاً،

(٤) أبوالفضائل العلامة حسن زاده الأملي، حسن، دروس في معرفة النفس، ص٤٢، الناشر: ألف لام ميم، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٢هـ.ش.

(٥) ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج١، ص٢٩٦، الناشر: الدكتور حسن عباس الزكي، القاهرة ـ مصر، ١٤١٩هـ.ق.

حتـــى يتولد منه الإنســـان، و هو أيضـــاً يتحرك إلى الكمال، و لـــه في هذا الطريق الحبي الاســـتكمالي، هـــدف أعلى مـــن ســـائر المقاصـــد و النهايات، و بينـــه و بين العـــالم تطابق وجـــودي، و هو مجمع الكلـــمات الوجودية الكليـــة و الجزئيـــة و النظم الدائـــم بينهـــا، و تلك الأجـــزاء و الكلـــمات كلها مرتبطة بواســـطة الحقيقة التي نسميها بالنفس، و هي القـــوة العاقلة المميزة بين الأشـــياء و الحاكمة عليهـــا، كما أن العـــالم و أجزائه أيضـــاً خير محض، و الـــشر، إما أمـــر عدمـــي، و إما يوجـــد في مقام المقايســـة، و النقـــص أيضاً هكذا؛ فـــكل شيء كان كاملا في رتبتـــه و مقامه، و في نفـــس رتبته لم يكن نا قصاً .

نعم؛ للكامـــل قيمة لاتوجد في الناقـــص، و الناقص



لم يقـــع مطلوبـــاً، و إن وقـــع مرجعاً لمـــرة أولى، لم يكـــن مرجعاً مـــرة ثانية؛ فاســـع أن تكـــون كاملاً في مهنتـــك وصنعتـــك، كابـــن مقلـــة و ياقـــوت المســـتعصمي، و الميرعماد الحســـني، و النيريزي و ســـائر المهـــرة في الخط، و كالفردوسي و الشـــنائي و النظامـــي و المـــلا الرومي و الســـعدي و الحافظ و نظائرهم في الشـــعر، لاســـيما الرباعيات المحرقة من «بابـــا طاهر عريـــان»، التي هي كاللهـــب للنار و كالمـــاء الصافي، وكيف أصبحت عالمية شـــهرة وصيتاً، حتى صـــارت بعض أبياته ضرب الأمثال على ســـائر الألســـنة. فيا عزيزي! كن طالبـــاً للكمال و تحصيله في أيـــام الشـــباب و الحداثة، حتى تكون ســـعيداً؛ لأن الإنســـان مـــا لم يكـــن كامـــلاً في قـــوتي عقله النظـــري و العملي لم يقـــع مطلوبـــاً، و لاتكن من البطالـــين الفجرة المتســـكعين الذيـــن لايرون وجه

السعادة، يعيشون مع التخيلات و الخزعبلات اليومية، و يتلبسون بألبسة متلونة كالطاووس، ثم سيفهمون أنه مابقي لهم من تلك الأمور شيء، و ما حصل لهم كمال، فلاجرم أنهم سيقعون في ورطة الهلاكة و الفقر و التكدي و السرقة و التعاسة و الشقاوة و الإيذاء و الإرهاب و سائر الأمور المخلة بالمجتمع. فلاتكن مصاحباً و معاشراً لهم؛ لأن المجالسة تؤدي إلى المشابهة و لاتكن من الغافلين المبعدين؛ و اعلم أن النطفة و المربي و المجتمع و المعاشر من الأصول التي لها دخل عجيب في سعادة الإنسان و شقاوته، يقال بالفارسية:

جوانا سر متاب از پند پیران که پند پیر از بخت جوان به



يعني: يا أيها الشاب! لاتتمرد على نصيحة الشيوخ؛ لأن نصيحتهم أفضل من حظ الشباب.

و أيضاً اعلم أن كل من كان كاملاً؛ فهو محبوب لغيره، و البائس العجوز لم يكن إلا منفوراً مطروداً، و لكن الكمال الحاصل للكامل، لايصير مندرساً و مندثراً، بل موجباً للنشاط و النضارة له و لغيره من أفراد المجتمع الإنساني، و الكامل هو المسرور و المبسوط و أيضاً هو المفرح للغير، مثلاً هذا إديسون هو المخترع للكهرباء لو عاش مع البائسين الجاهلين لدهره، و اشتغل بالترفه و البطنة و البطالة و الهذيان، لم يقتدر على اكتشاف الكهرباء، حتى ينور العالم بنور تعقله و علمه؛ فلابد للأصدقاء أن يبتعدوا عن ديدن الجاهلين في عصرهم و اعلموا أن أكثر أكابر عصرنا



ســـنا، ما بلغوا إلى حد البلـــوغ و نصابه و لم يكونوا يفهمـــون و يعقلـــون؛ فعليكـــم أن لاتصاحبوهم و الذين ضيعـــوا العلـــوم و المعـــارف، و عجزوا عن الســـلوك في طريق الكـــمالات العاليـــة الإلهية، و أصبحـــوا علماء العـــوام و هم عـــوام العلماء.

واعلـــم أن هـــذا العالم الحـــاضر عـــالم تدريجي، ويحصل الكمال تدريجاً؛ فلاتســـتعجل، و لكل أجل مســـمى، و هذا الوجود التدريجي نسميه بالحركة الاســـتكمالية خاصة؛ فالكل متحرك اســـتكمالاً؛ وكل متحـــرك إلى كمال، لابـــد أن يكون فاقـــداً له، حتى يتحـــرك، فيصل إليه و إلا فتحصيـــل الحاصل محال بديهـــي، و واضح أيضـــاً أن فاقد الكـــمال لم يكن واجـــداً لـــه و لم يذهب إليه من نفســـه؛ فلابد من مخـــرج يخرجه إلى ذلك الكـــمال؛ نعم، ذلك المخرج



من يكون؟ و كيف يخرج الفاقد إلى الوجدان و يوصله؟ فلابد أن نرجع إلى أنفسنا و نغوص فيها؛ لأنا من أعجب العجاب في هذا العالم الوجودي، و نحن الأقرب و الأحق في معرفتنا من غيرنا؛ لأن غيرنا كله خارج عنا بالنظر الأولي و الظاهري، و الطريق الأفضل و الأقرب أن نطرح أسئلة حول أنفسنا و نستنبط من أنفسنا أجوبة فيها؛ فاعلم أن مولانا الأجل العلامة حسن زاده الأملي روحي فداه سلك هذه الطريقة الهادئة و المريحة من الأسئلة و الأجوبة خطاباً للتلاميذ الحاضرين في «دروس معرفة النفس» و قال:

«لو سألك شخص في طريق مجيئك إلى هذا الدرس: إلى أين تذهب؟

تقول في جوابه: أريد أن أذهب إلى مسجد «سبزه



ميدان».

س ـ ما الخبر هناك؟

ج: أقيـــم هناك مجلس الـــدرس و التحاور و نحقق في أمـــور و نحللها و نفحصها.

س ـ ما هـــي النتيجة من ذلك التحـــاور و التجزئة و التحليل؟

ج ـ كل يـــوم نســـمع مطالب أو عـــلى الأقل مطلباً واحداً و نصـــل إلى ضياء العلـــم و المعرفة و نخرج من ظلمـــة الجهل، و بالتالي نســـتضيء كل يوم أكثر فأكـــثر، و نصل مـــن القوة إلى الفعـــل و نرتقي من نقص الجهل إلى كـــمال العلم.

س ـ قلت: نستضيء بالتعلم إذن ما هو التعلم؟

ج ـ الفهم نفس التعلم.

س ـ كيـــف تتنور بنـــور العلم؟ هـــل العلم نور و سراج حتـــى ينوركم؟ مضافاً إلى ذلـــك أي نوع من النـــور و الـــسراج هو؟ مـــن أي خشـــب و نفط و فتيلة يشـــتعل و ينور هذا المصبـــاح؟ و أي نقطة مـــن ذاتكم كانـــت مظلمـــة و تنـــورت؟ و كيف تتنو ر ؟

ج ـ رغـــم أننـــي الآن عاجـــز عـــن أن أبـــين لكم خصوصيـــات هـــذا النـــور، و لا أســـتطيع التبيين؛ ولكن لمـــا أرجع إلى نفـــسي، أجد أننـــي أتنور من التعلـــم، و لعل في الحلقـــات الآتيـــة تطرح هذه الأســـئلة و تجاب بـــأن العلم أي قســـم من النور و الضياء، ثم أســـتطيع الإجابة عن أســـئلتكم تفصيلاً و برهاناً.

س ـ بالأخيرة مـــاذا تطلب من هـــذا التنور و على

ماذا تحصلون؟

ج ـ نريــد أن نفهم «من نحــن، و إلى أين نذهب، و نهايــة أمرنا مــاذا يكون؟ و مــاذا نطلب، و ماذا يجــب أن نطلب؟ و ماذا يطلب كل هذه الأشــياء؟

س ـ أ لاتعلم هذه الأمور؟

ج ـ لــو علمت، لمــا احتجت إلى الحضــور في هذه الحلقة الدراســية؛ لأنّ تحصيــل الحاصل محال.

س ـ مــن الذي يخرجكــم من الجهــل و الظلمة إلى العلــم و النــور، و على قولكم: مــن القوة إلى الفعــل و من النقــص إلى الكمال؟

ج - فلان.

س ـ و هل هو يعرف هذه الأمور؟

ج ـ لــو لم يعلم، فكيف يعلمنا و يدرســنا؟ و فاقد

الشيء لايكـــون معطيه.

س ـ أنه كيف يســـحبكم من الجهـــل إلى العلم و من الظلمـــة إلى النور و يبلغ بكـــم من النقص إلى الكمال؟

ج ـ هـــو يتكلم و نحن نســـتمع إليـــه و قليلاً قليلاً نتعلم .

س ـ ذلـــك الفلاني الـــذي يعلمكم هـــل هو واجد لذلـــك العلم، أو هـــو أيضاً تعلـــم من غيره؟

ج ـ هـــو نفســـه أظهر أنـــه تعلم مـــن الأغيار، و الأغيـــار أيضا مـــن الأغيار.

س ـ و هو كيف تعلم؟

ج ـ هو أيضاً تعلم مثل ما نتعلم منه.

س ـ أ مـــا قلـــت: تعلم العلم تخزينـــه و ادخاره،

و العلم نــــور، و حصلت هذا العلــــم من تكلمه و استماعك إليه؟

ج ـ نعـــم؛ قلت ذلك، إذ أنه لـــو لم يتحدث و نحن لم نســـتمع، لم نكـــن عالمين، هل يمكـــن للأخرس أن يعلم أو هل يســـتطيع الأصـــم أن يتعلم؟

س ـ حينما تغوص و تســـتغرق بالفكـــر و تريد أن تحل عقـــدة مســـألة رياضية صعبة مثـــلاً، أو أي ســـؤال صعب آخر، هـــل كنت تعرف مـــن بداية الأمر حـــل تلـــك المســـألة الصعبـــة؟ أو بعد أن فكرت و تعمقـــت فيها، اطلعت عليهـــا و تنورت بهـــا، و بلغت من القـــوة إلى الفعـــل؛ أليس هذا الوجـــدان و الحل علـــماً و أليس العلـــم نوراً؟

ج ـ نعم؛ الأمر كذلك.



س ـ و في هـــذه الصـــورة التي حصلـــت على علم من خـــلال فكـــرك و نفســـك هل يوجـــد هناك تحا و ر ؟

ج - لا.

س ـ إذن هـــل يمكن الحصول عـــلى العلم من دون أن يكـــون هنـــاك ســـماع و تحاور بينكـــم، أليس كذ لك ؟

ج ـ بناء على هـــذا المثال الـــذي ضربتم و الفحص الذي قدمتم، لابـــد أن يكون كذلك.

س ـ و الآن تفضـــل و قـــل لنا حينـــما وصلتم إلى حل تلك المســـألة الصعبة و فزتـــم بحلها مع أنكم كنتم ســـاكتين و غائصـــين في التفكـــر و ليس لكم محـــادث أ ما خرجتـــم من النقـــص إلى الكمال، و

مـــن الظلمة إلى النـــور و من القـــوة إلى الفعل؟

ج ـ بـــلى قد خرجـــت من النقـــص إلى الكمال، كما بينتم .

س ـ و الآن تفضـــل و قـــل لنا على هذا الأســـاس: من الـــذي أخرجكم مـــن القـــوة إلى الفعل، و أي متكلـــم و معط أوصلكـــم إلى الكمال؟

ج ـ أنـــا وجدتُه مـــن خلال تفكـــري، و ليس غيري في البين.

س ـ أنـــت قلت: إن الإنســـان لايســـعى إلى شيء يملكـــه، و تحصيل الحاصل محـــال؛ فكيف وجدت حل تلـــك المســـألة العويصة من نفســـك و أنت فا قد ها ؟

ج ـ أنـــا فكـــرت و بالفكـــر و التعمـــق وصلت إلى



حلها .

س ـ وصلنا إلى أن الفكر حركة، و حصلت من هذه الحركة نتيجة حلت تلك المسألة العويصة؛ و الآن قل: من الذي أخرج الفكر من القوة إلى الفعل و من النقص إلى الكمال، من هو المخرج؟ و أنت قلت: لايوجد شخص آخر حين تفكرك سوى ذاتك، و أنت أيضاً، كنت فاقداً تلك النتيجة، و أنتم قلتم: إن فاقد الشيء لايكون معطيه، و الآن تفضل و قل لنا: من هو الواجد لتلك النتيجة العلمية و من هو الذي أعطاها إليك، و كيف خرجتم من النقص و الجهل و وصلتم إلى الكمال؟

ج ـ أنا أقر أني لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال، فلابد أن نذهب إلى الدرس و نستفيد

من الأســـتاذ.

س ـ مضافاً إلى الأســـئلة الســـابقة، لي أسئلة أخرى؛ تجيـــب عنها رجـــاء، أنـــت قلت: نحن نســـتمع إلى الأســـتاذ و تخـــرج من القـــوة إلى الفعل؛ فقل: كيـــف وصـــل العلـــم و نـــوره من خـــلال تكلم الأســـتاذ إلى ذاتكم؟ فدقق في ســـؤالي: إنا نعلم أن الصـــوت يتحقق من تمـــوج الهواء، و هـــذا الموج على أســـاس هيئاته التي يقبلها مـــن خلال عبوره مـــن المحابس و المخارج يوجد الحـــروف؛ فالحرف هيـــأة تعرض عـــلى الصـــوت. و بعبـــارة أوضح؛ يحدث الصـــوت و الحـــرف من حركة اللســـان و مصادمته بمخارج الحروف و تمـــوج الهواء، و يصل ذلك التمـــوج للهـــواء و ترddاتـــه المختلفة (التي يحدث الحـــرف منها) إلى جهاز الســـمع و منه إلى

الغشــــاء الطبلي؛ يعني: طبلة الأذن و هي ســـامعة الصوت و الحرف، و إن هـــذا و إن كان أمراً عجاباً؛ و لكن ســـؤالي هـــو أن الحرف يتشـــكل من الهواء و تموجـــه و الهيئـــة العارضة عليـــه، فكيف يمكن أن ينقـــل نـــور العلم إلى الســـامع و يحل به؟ هذا الهواء هو نفـــس الشيء الذي نعيش و نســـتغرق فيه، كالحـــوت في المـــاء، و فكيف لـــه أن يوصل العلـــم إلى الســـامع بصرافة تموجـــه و تردده؟ هل الهـــواء الخـــارج من فـــم العالم بـــتردده و تموجه هـــو الحامل لنـــور العلـــم؟ و هو يوصـــل العلم مـــن طريق جهاز الســـمع إلى الســـامع؟ أو خروج الهـــواء من الفـــم ليس شرطاً في إيصـــال العلم، إذ الأصوات المســـجلة في آلات التســـجيل، كجرامافون و أمثالهـــا أيضـــا، يفهم منهـــا المفاهيـــم، مثل ما يفهـــم المفاهيم مـــن الأصوات الخارجـــة من فم

المتكلم الإنسـاني؟ مـاذا تجيب عنها؟

ج ـ لابد أن نتأمل في السـؤال كثيراً، و كأن المسـألة أصبحت أحجية، لايسـهل حلها.

س ـ أ لايطـرح مثل هذا السـؤال في قراءة الكتب و الرسـائل؟ أليس المكتوب إلا الحـبر الذي تبدل بهيئـات و صـور و أشـكال مختلفة عـلى لوح القرطـاس و أنـه أمثالـه؟ كيف نصبـح علماء و نصـل إلى المعـارف بقـراءة كتـاب، و في حين ما انتقـل من الكتـاب شيء إلينـا؟ و في الكلام على الأقـل يوجد تموج الهـواء بينـما في المكتوبات و قراءتهـا حتى هـذا لايوجد. نعم؛ العين تشـاهد نقوشـاً على لوح القرطاس؛ فكيف يصير الشـخص القارئ للكتـاب عالماً؟ معطي العلـم؟ هل المعلم هو الأسـتاذ أو الكتاب؟ أو المعلم لا هو الكتاب و



لا الأســـتاذ؟ فالسؤال يســـنح في كليهما من الكتاب و الأســـتاذ أو أنهما لايكونان معلمـــين حقيقة، بل يكونـــان معديـــن، و المعلم هو شـــخص آخر؟ و إن كان كذلـــك فذلـــك المعلم من هـــو؟ مضافاً إلى ذلـــك كيف يعلـــم و نحن كيف نتعلـــم منه؟ ماذا تجيب عن هذه الأســـئلة؟

ج ـ الآن وقعت في ورطة الحيرة، و أرى أن أســـئلتكم واردة علي و هذه الأســـئلة، أســـئلة قويمة وقيمة، و أجوبتهـــا صعبة جدا؛ فلذا أطلـــب منكم الفرصة و المهلة للإجابة عليها.

س ـ أشـــكركم لدقتكـــم بالنســـبة إلى أســـئلتي و لإجابتكـــم عليها بالدقـــة و الإنصـــاف. نعم؛ أنتم قلتم ســـابقاً: إنا نشـــارك في حلقة التحـــاور تلك و كل يـــوم نصل من الظلمة إلى النـــور، تفضل و قل



لنـــا: ما تلك الظلمـــة و من الـــذي كان مظلماً ثم تنـــور؟ و يوماً؛ فيومـــاً يصير أنور؟

ج ـ تلـــك الظلمة كانت أنـــا وصرت نـــوراً و يوماً فيومـــاً أيضا أتنـــور أكثر.

س ـ أشـــكركم على الجواب؛ فتفضل أنبئني بـ«أنا» منكـــم، حيث قلت: «أنـــا» كنـــتُ ظلمة؛ فصرت «أنـــا» عالماً و متنوراً بالاســـتماع إلى الأســـتاذ، من ذلك الـ«أنـــا» و وضحه إيضاحاً أكـــثر، حتى أصبح أعرفه؟

ج ـ ذلـــك الـ«أنا» أنـــا الذي بمحضركـــم و أنا أنا، و أنـــا الذي أنتم تشـــاهدونه، و أنا الـــذي هو جالس في مقابلكـــم، و ليس أمراً مســـتوراً، حتـــى أبين و أفـــسر لكم و ذلـــك الـ«أنـــا»، عين الـ«أنـــا» الذي بخدمتكـــم و لا يحتـــاج إلى البيان؛ فلـــماذا تطلب



مني الإيضاح؟ فســؤالكم هذا في الاســتيضاح ركيك جدا .

س ـ لو ســمحتم لي أن أســألكم حول هذه المسألة و نشكركم جزيلاً؟

ج ـ أرجوك تفضل و سل ما شئت.

س ـ هــل اللباس و الأحذيــة و القلنســوة أيضاً أجــزاء لهذه الـ«أنــا» منكم و التــي هي مقابلي؟

ج ـ لا؛ هي كانت ألبستي و خارجة عني.

س ـ هل شــعر رأســك و لحيتك من أجــزاء «أنا» منكم، حتــى تقول «أنــا» مني عين «أنــا» الذي بمحضر كم؟.

ج ـ لا؛ إن شــعر بــدني و رأسي و لحيتي و إن كانت أقرب مني من ألبســتي و القلنســوة و الأحذية، و

لكـــن، لاتكون أجزاء لـ«أنا». إذ لو أني حلقت شـــعر بـــدني و رأسي و لحيتي فإن «أنا» منـــي يبقى و أنا أ نا .

س ـ هل لونكم جزء من «أنا» منكم؟

ج - عـــلى الرغـــم من أن لون بـــشرتي أقرب إلي من شـــعري و ألبســـتي، ولكـــن اللون أيضـــاً غيري، إذ لعـــلي أكـــون أياماً في عمـــل و يتغير لوني بشـــعاع الشـــمس و الريح، أو لعله يصيبنـــي مرض يرقان و يصير لون بـــشرتي أصفـــر، و أنا أنا.

س ـ أشـــكركم عـــلى إجابتكم أســـئلتي بالمنطق و الاســـتدلال، الآن تفضـــل و قل: هـــل الأصابع من يديـــك و رجليك تكـــون أجزاء لـ «أنـــا» منكم؟

ج ـ نعم؛ هذه الأعضاء ليســـت كالشـــعر و الألبسة



و الألوان، حتى تكـــون خارجة عني.

س ـ و هـــل الـــذي قطعـــت منه إصبع، لايســـند آثـــاره و أفعاله إلى نفســـه، و لايقـــول: أنا رأيت، أنا ســـمعت، أنا مشـــيت، أنا جئتُ، أنـــا أخذتُ، أنـــا أعطيت، أنا فكـــرتُ، وســـائر الأفعال؟

ج ـ نعم؛ يسندها إلى ذاته.

س ـ فمـــع قطـــع إصبـــع واحدة، هـــل يحدث في «أنـــا» لذلك الشـــخص خلـــل أو نقصـــان، بحيث عندما يقـــول: «أنا» يخـــبر عن «أنـــا» الذي قطع جـــزء منه أو لا، بـــل في أفعاله و أقوالـــه و أحواله يقـــول: «أنا،أنـــا» و يغفـــل عن قطـــع إصبعه و لايخطر ببالـــه قطع تلـــك الإصبع؟

ج ـ نعم؛ هكذا يكون، كما قلتم.

س ـ إذن فتلـــك الإصبع مـــا كانت جـــزءاً لـ«أنا» لذلك الشـــخص؟

ج ـ نعم، هكذا، كما قلتم.

س ـ الآن تفضـــل و أجـــب عن هذا الســـؤال: لو قطعـــت أصابـــع يـــده الواحـــدة، أو قطعت يده الواحـــدة إلى معصمهـــا، أو إلى كتفهـــا، أو قطعت يـــداه و رجـــلاه، أو يكـــون مفلوجـــاً، ففي هذه الصور أ لايقـــول: «أنـــا» و أ لايســـند أفعالها إلى «أنا»؟

ج ـ نعم؛ يقول: أنا أنا، و يســـند أفعاله إلى نفســـه، و إن كان مفلوجاً.

س ـ هـــل يمكن طرح هذه الأســـئلة حـــول أذنه و عينه و أنفه و أســـنانه و أعضائـــه و جوارحه، بأنها



هل هي أيضـــاً جزء مـــن «أنا» لذلك الشـــخص؟ يعنـــي: ربما قد أصابت أعضـــاءه و جوارحه، الفلج أو ربما يكـــون معيوباً من ناحيـــة أعضائه الباطنة، كالكبـــد، و المعـــدة و الكليـــة، أو ربمـــا في مثـــل هذه الســـنوات الأخـــيرة تكون أعضـــاءه مطعمة (موهوبـــة) له ومـــع ذلك كلـــه هل أنه يســـند أفعالـــه و أحواله إلى نفســـه و «أنا» منه؟

ج ـ «أنـــا» منـــه باق عـــلى حقيقتـــه و إن كانت الأعضاء الباطنة معيوبـــة أو انتقلت إليه بالتطعيم؛ فالقلـــب و الكليـــة و الكبد و أيضا ســـائر الأعضاء لاتكـــون جزءاً مـــن «أنا» له.

س ـ هل ســـنح لك الفكـــر العميـــق و الثقيل في أيـــام حياتك ؟

ج ـ نعـــم؛ كثـــيراً حـــدث لي الفكـــر العميق حول

مســـألة رياضيـــة و غيرهـــا، و عجزت عـــن حلها.

س ـ في ذلــك الوقـــت الذي غصـــت في الفكر لحل مســـألة رياضية مثـــلاً؛ هل توجهـــت إلى أعضائك، بل التوجه إليهـــا كان عائقاً للتفكـــر و التوغل؟

ج - نعم؛ التوجه إلى الأعضاء و حتى نفس اســـتماع الأصـــوات، و الإبصـــار، و اللمس و الاستشـــمام و الـــذوق، كلها عائقـــة للتفكـــر، بـــل المتفكر يفر من هـــذه الأمور و يلجـــأ إلى زاويـــة، و ربما يغض بصره و يســـد ســـمعه و أذنـــه، و يـــصرف خياله عـــن الذهاب إلى هـــذا و ذاك، حتـــى يتخلص من الاشـــتغالات المزاحمة، لينتهي إلى الهدف في الفكر؛ بـــل التوجه في وقت الفكـــر إلى أعضائـــه الباطنة، و الاشـــتغال بتشريح عضو من الأعضـــاء الظاهرية و الباطنيـــة، مانـــع للوصول إلى حـــلّ ذلك المطلب

الصعـــب و الثقيل، عـــلى أي حال التعلـــق يزاحم التعقل العميـــق، و يغفل الشـــخص في حال الفكر العميق عن ملكـــه و أمواله و ألبســـته و حذائه و أعضائه مطلقاً، و حتى عن رأســـه و شـــعره و مخه و قلبـــه و كبده و الغـــذاء الموجود في بدنه و دمه و قـــواه و جوانحه، بـــل هو غائر فقـــط في حل تلك المســـألة الصعبـــة الرياضية أو العلميـــة، ذلك كله أنه في ذلك الحـــال يتفكر في حل المشـــكل و يصل إلى النتيجـــة و يقول: أنا وجـــدت جوابها و وصلت إليه.

س ـ هل ذلـــك الـ«أنا» في تلك الحالـــة موجود أم معدوم، و بعبارة أســـهل؛ هل ذلـــك الـ«أنا» الذي يكون غـــير البدن، هو موجـــود أو ليس بموجود في تلك الحالـــة الفكرية العميقة لحل المشـــكل؟



ج ـ نعـــم؛ واضح أنه موجود قهـــراً و ليس بمعدوم، و المعدوم كيف يفكر و يجـــد و يصل إلي النتيجة!! و المعــــدوم لايطلع عـــلى ذاته، و ليســـت له ذات، حتى تكون منشـــأ للآثار!

س ـ أحســـنتم، انتهينا إلى هـــذه النتيجة و هي أن «أنـــا» من كل شـــخص، غير الأعضـــاء و الجوارح و الجوانـــح و تشريحهـــا، و الشـــخص في حالة تفكره لحل مســـألة صعبة يغفـــل عنها كلهـــا و الخلاصة يغفـــل عن البدن، و مـــع ذلك «أنـــا» منه موجود و بعـــد تفكره يخـــبر عـــن فكرتـــه و وصوله إلى النتيجة؛ فهذا الشيء ـ أي: «أنـــا» بالعربية و «من» بالفارســـية، و النفـــس، و النفس الناطقـــة و أمثال هـــذه التعابـــير هو موجـــود و هو غـــير البدن، و هـــو لايكون مبـــصراً بالعين الظاهـــرة و لا الباطنة،



ولا يــرى بالعين المســـلحة من الكاميرا و عدســـات التكبـــير و ســـائر المجاهر، و لا يقع مســـموعاً و لا مشـــموماً و لاملموســـاً، لا ظاهراً و لاباطناً. و هذا مطلـــب عظيم، و هـــو أن «أنا» غـــير البدن و هو الموجود قطعـــاً ويقيناً» .

فأنتـــم أيهـــا الأصدقاء الأعـــزاء! تعمقـــوا في هذا البحـــث و الفحص، و لاتأخذوه عبثـــاً و بزارياً (أي: ســـطحياً)؛ إذ وصلنا الآن إلى موجـــود و هو حقيقة كل فرد من الإنســـان، و انتهينا إلى هـــذه النتيجة، بأن ذلـــك الجوهـــر الذي كنا نشـــير إليـــه بلفظ «أنـــا» أو «من»، هـــو موجود غير البـــدن، و تيقنا بأنـــه لا يرى بعـــين الرأس، و لا يلمـــس، و مع ذلك نعترف بوجـــوده و حقيقته.

أمـــا أنه أي موجـــود هو و كيف يكـــون غير البدن



و مـــع ذلك يكون مـــع البدن؟ و كيف نســـبته إلى البـــدن و تعلقه به؟ و كيف و بـــأي نحو يخرج من النقـــص و يصـــل إلى الكمال، و الكثير من الأســـئلة الأخـــرى حولـــه؛ فلابد لنـــا من الاســـتمرار في هذا الســـفر العلمي و التحقيق الأنيـــق، حتى نصل إلى الأجوبة المقنعـــة و الموقنة.

فخلاصـــة الدليل المذكور هي أن الإنســـان المتعمق و الممعـــن في الفكـــر يغفـــل عن بدنـــه ومع ذلك شـــاعر بذاته و حقيقتـــه؛ فذاته التي يشـــير إليها بـ«أنـــا»، غير بدنه[٦].

(٦) مفاتيح الغيب، الشيخ داوود صمدي آملي، الباب الثاني من المفتح السابع، ص ٤٢٩-٤٤١

